﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـقـريـر أصـول الإيـمـان من الـتّـوحـيـد والإيـمـان بـيـوم الـقـيامة وبالرّسل

لمّا أتمَّ سبحانَه الدليلَ على آية ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧﴾ [يس: 7] وأنَّ التَّكذيب كان بالأصلين التَّوحيدِ والحشرِ، وبيَّنهما غايةَ البيان - رجع إلى تثبيت الأصل الثالث وهو أمر الرسول والتنزيل فقال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ الآيةَ[1].

وأيضًا لَمّا تَصَدَّى القُرْآنُ لِإبْطالِ تَكْذيبِهِمْ بِوَعيدٍ بِالجَزاءِ يَوْمَ الحَشْرِ بِما تَعاقَبَ مِنَ الكَلامِ عَلَى ذَلِكَ؛ عادَ هُنا إلَى طَعْنِهِمْ في أَلْفاظِ القُرْآنِ وتكذيبِهم بها، كما جاء في قوله تعالى في هذه السّورة ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾ [يس: 46]، إذ تدخل فيها آيات القرآن دخولًا أوّليًّا، ومن تكذيبِهم ما جاء في الخطاب ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ [الأنبياء: 5]، فَقَوْلهم ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ [الأنبياء: 5] يَقْتَضي لا مَحالَةَ أَنَّهُمْ يقولونَ: القُرْآنُ شِعْرٌ، فجاء قوله تعالى ردّا عليهم ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ الآيةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلشِّعۡرَ﴾: أصلُ (شعر) يَدُلُّ على عِلْمٍ وعَلَمٍ، فالإشعارُ: الإعلامُ، والشِّعار: العَلامة[3]، والشُّعورُ يُطلَقُ على العِلْمِ بالأشياءِ الخَفيَّةِ، ومنهُ سُمّيَ الشّاعِرُ شاعرًا[4]، والشِّعر: القريض المَحْدود بعلامات لا يُجاوزها، وقائله شاعرٌ لِأَنَّهُ يَشعُر ما لا يَشْعُر غَيره، أَي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 162.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 56.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 278.

يعلم، وجمعُه الشُّعراء، ويُقال شَعَرتُ لفلانٍ، أَي قلتُ لَهُ شِعرًا[1]، و﴿ٱلشِّعۡرَ﴾ في الآية مراد به: الكَلامُ المَوزونُ المُقفَّى المقصود الذي له مَعانٍ مُناسبة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نـفـيُ تعليم الـشِّـعـر عـن النَّبي ﷺ نفيٌ أن يكون القرآن شعرًا

لمّا جاءَهم رسول الله ﷺ بالقرآن زعموا أنَّه شاعر، وأَن القرآن الَّذي أَيَّده الله به شعر، فأنزل الله هذه الآية لإبطال ما زعموه من الأَمرين؛ فإنَّ نَفْيَ تعليم الشعر لمحمَّد ﷺ يستتبع نفيَ أن يكون القرآن شعرًا، وأَن الذي جاء به شاعرٌ، فقال سبحانه: وما عَلَّمْنا محمدًا ﷺ الشِّعر قبل أن يقول ما قال، حتَّى يصحّ زعمكم أنَّ محمَّدًا ﷺ شاعر وما جاء به شِعر، وما يَنبغي له أن يكونَ شاعِرًا؛ فنَظْمُ الشِّعرِ مُمتنِعٌ عليه، وليس القرآن من قبيل الشِّعر لا وزنًا ولا غرضًا ولا تكوينًا، وما القُرآنُ إلّا ذِكرٌ للنّاسِ، وقرآنٌ واضِحٌ مُظهِرٌ للحَقِّ، موضِّحٌ للنّاسِ كُلَّ ما يَحتاجون إلى بيانِه[2].

وترشدُ الآيةُ إلى البُعْد عن الشُّبَه؛ إذ ينبغي للإنسان أن يبتعد عن كل ما يوجب الشبهة حوله، فمقام النبوة الذي ادُّعي فيه أنه شعر، ينبغي أن يبتعد الإنسان عمّا يوجب هذه الشبهة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

تَـلاحُـمُ أصـولِ الإيـمـان، فلا يكفي الإيمان بواحدٍ منها

جاءت جملة ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ مَعْطوفَةً عَلَى جملة ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ [يس: 48]؛ ليكون الكلام من عطف القصَّة على القصَّة، وعَطْفَ غرضَ إثباتِ الرّسالة

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (شعر).
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 519، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 698، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 384 - 385.
(3) العثيمين، تفسير سورة يس، ص: 253.

والقرآن على غرض إثبات التّوحيد والبعث، إذ بيَّن هنا الرّسالة إثر بيان التّوحيد بقوله:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وإثر بيان الحشر بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، فاجتمعت الأصول الثلاثة في هذه السّورة[1]، ويَجوزُ أَنْ تَكونَ الجملة مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنافًا ابْتِدائيًّا، وتكونُ الواوُ لِلاسْتِئْنافِ، للرَّدِّ على ما يقوله في حقِّ رسول الله ﷺ وفي القرآن؛ ولِذَلِكَ اقْتَصَرَ هُنا عَلَى تَنْزيهِ القُرْآنِ عَنْ أَنْ يَكونَ شِعْرًا والنَّبيِّ ﷺ عَنْ أَنْ يَكونَ شاعِرًا، دون التَّعَرُّض لتنزيهه عَنْ أَنْ يَكونَ ساحِرًا، أَوْ أَنْ يَكونَ مَجْنونًا؛ لِأَنَّ الغَرَضَ الرَّدُّ عَلَى إعْراضِهِمْ عَنِ القُرْآنِ وتكذيبِهم له.

بديع حسن التّخلّص في الآية:

الانتقال من معنى إلى آخر بأسلوب لا قطع فيه، ولا استئناف

في هذه الآية والتي بعدها حُسْنُ التخلّص من ذكر المعاد وأحوال البعث إلى الحديثِ عن الرّسول ﷺ، وبيانِ وصْفِ القرآن والإنذار مع الانسجام في المعنى والمناسبة بين الآيات؛ فقد انتقل من معنى إلى آخر له علاقة، بأسلوب لا قطع فيه، ولا استئناف، ولا يشعر به السامع، ففيه من البلاغة ما يقضي بالعجب من حسن موقعه[2].

نكتة النّفي بـ(ما):

لمّا كان النفي في مثل قولِه: ما فعلتُ هو جوابَ (لقد فعلتَ)[3]، أفاد أنَّ قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ هو ردٌّ على قولهم: لقد تعلَّمَ الشّعر، فيكون الكلام على إبطال قولِهم وإنكارِه والردِّ عليهم بالدّليل.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 304، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 183.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 49.
(3) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.

مناسبة إسناد الفعل إلى الله تعالى:

أُسنِد الفعلُ المنفيُّ في قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ إلى الله تعالى تعظيمًا لشأن رسول الله ﷺ، وتنويهًا بأنَّه لم ينزل عليه سوى القرآن، أي ما علّمناه الشّعر بتعليم القرآن، ليفيد أنَّ القرآن الذي أنزله الله عليه ليس شعرًا لأنَّه لا يشبهه، وقد يقال: لمَ لم يقل: ما علّمناه الشّعر وما علَّمه أحدٌ؟ والجواب هو أنَّه أراد أنَّ القرآن بنفسِه دليل على أن لا أحدَ يستطيع الإتيان به، وأنَّه لا يكون إلّا من عند الله تعالى، فإذا كان الذي يقوله ليس بشعر فليس هو سوى قرآن مبين.

القرآن بنفسِه دليل على أن لا أحدَ يستطيع الإتيان به، وأنَّه من عند الله

دلالة عود الضّمير في ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾:

يعود الضّمير إلى غير مذكور، ويُقصَدُ به رسول الله ﷺ؛ بقرينة السّياق، وسببُ عدمِ ذكر الاسم الظّاهر والاكتفاء بالضّمير تعظيمُ شأن رسول الله ﷺ من أن يُذكَرَ اسمُه الشّريف في نفي الشّعر عنه، فكيف في إثباته له ﷺ!

تعظيم شأنِ رسول الله ﷺ وتكريمه بتنزيهه عن الشّعر

معنى (أل) في ﴿ٱلشِّعْرَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ للجنس؛ ليشمل اللفظ كلَّ أنواع الشعر، وأفاد تقييد نفي التّعليم بالشّعر في قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أنَّ القرآن لا يماثل الشّعر لفظًا ولا معنىً، فإنَّ القرآن ليس مُقفًّى ولا مَوْزونًا، كما أنَّ أكثر الشّعر خيالات لا حقيقةَ لها، والشاعر يتوخّى في شعرِه التَّخيُّلات المنفّرة والمرغّبة وغير ذلك، والقرآن ليس كذلك لأنَّه أحكام وتشريعات ونظام حياة.

القرآن لا يماثل الشّعر لفظًا ولا معنىً

فائدة النفي في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾:

لمّا نفى الله تعالى أن يكون قد علّم رسولَ الله ﷺ الشِّعرَ، ونفى أن يتأتّى له الشِّعْرُ أفاد أنَّ الأمر خاصٌّ به ﷺ؛ لأنَّ الكلام في بيان مباينة القرآن للشّعر، وأنَّ الذي نزل عليه ﷺ هو القرآن المبين، فلا يكون نفيُ النّظم وتَعلُّمُ الشّعرعن النّبيِّ ﷺ عَيْبًا للشّعر، كما لم يكن

خصوصيَّة رسول الله ﷺ في أن جعل تشريفَه بنفي الشّعر عنه

قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48] عيبًا للخطِّ وتعلّم الكتابة[1].

بلاغة الرّدّ بطريق الكناية:

نفيُ تعليمِ الرسول الكريم الشّعرَ نفيٌ للشاعريّةِ عنه وعن القرآن

لمّا كان قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ ردًّا وإبطالًا لما كان الكفّار يقولونه في حقِّه ﷺ من أنَّه شاعر، وأنَّ ما يقوله هو شعر، وكان الظاهر في الردِّ أن يقال: ما هو بشاعر وأنَّ ما يتلوه عليكم ليس بشعر، فعَدَل عن هذا إلى قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾؛ ليكون الرّدُّ بطريق الكنايةِ المُضَمَّنِ الدليل على المطلوب، وبيانه: أنَّه لمّا كان رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين النّاس وقت النّزول وهو حقيقة لا يمكن نكرانُها، عمدوا إلى الطّعن فيه، بكونِه شاعرًا وأنَّ ما يقوله هو الشّعر، فلمّا أراد نفي كونه شاعرًا نفى أن يكون ﷺ قد علَّمه الشّعر، فنفى اللّازم وأُريد نفيُ الملزوم بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح؛ لأنَّه أوفى الدّليل على كونه ﷺ ليس بشاعرٍ، كما أنَّه لمّا نفى تعليمه الشّعر أفادَ أنَّ القُرآنَ ليسَ بشعرٍ[2].

فائدة عطف نفي الانبغاء:

التّرقي في الرّدّ على المشركين وإبطال قولهم

فائدة العطف في قوله ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ هو من تمام الدّليل، ولأجل التّرقّي في الرّدِّ عليهم وإبطال قولِهم، والمعنى: هو ليس بشاعر لأنّنا لم نعلّمه الشعر، وهو ليس بشاعر لأنَّ الشّعر لا ينبغي له.

نكتة التّعبير بالفعل المنفيّ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾:

ما يصحُّ من الرسول ﷺ الشعرُ، ولا يتسهَّل له قَرْضُه

البغي الطلب، ويأتي منه المطاوعة، فيقال بغيتُه فانبغى بمعنى طلبتُه فانطلب، وهوَ يُشْعر بِالطَّلَبِ المُلِحِّ، ثُمَّ غَلَبَ في مَعْنَى يَتَأَتَّى

(1) ابن العربي، أحكام القرآن: 4/ 28، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 65.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 84، وإسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 429، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 56.

ويَسْتَقيمُ، فَتُنوسيَ مِنْهُ مَعْنَى المُطاوَعَةِ وصارَ يَنْبَغي بِمَعْنَى يَتَأَتَّى[1]، ونكتة التّعبير بـ﴿يَنْبَغِي﴾ أنَّ هذا اللفظ مثلُ قولهم: النار ينبغي أَنْ تحرقَ الثَّوبَ، أي هي مسخَّرة للإحراق، فلمّا نفى الانبغاء في قوله ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ - بعود الضّمير إلى رسول الله ﷺ؛ ليطابق الضّمير في ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾ - أفاد أنَّه ما يصحّ لرسول الله محمَّدٍ ﷺ الشعر، ولا يَتَسخَّرُ ولا يتسهَّل ولا يتأَتَّى له إنْ أراد قَرْضَه[2]، فحتَّى لو بَغاهُ - على الفرضِ والتّقدير - لم ينبغِ له، لأنَّ جِبِلَّتَهُ منافيةٌ لذلك غايةَ المنافاةِ، أي جعلناه بحيث لو طلبه وأراد قَرْضَ الشعر لم يتأتَّ له، ولم يكن لسانه يجرى به على قصد قول الشّعر صحيحًا سليمًا؛ لتكون الحجَّةُ أثبتَ وشبهةُ المرتابين فى حقّيَّةِ رسالته أَدحضَ، فإنَّه لو كان شاعرًا لدخلت الشبهة على كثير من الناس في أنَّ ما جاء به يقوله من عند نفسه؛ لأنَّه شاعر صناعته نظم الكلام، ليفيد قوله ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أنَّ رسول الله ﷺ ما كان يُحْسِنُ الشّعر مع تمييزه بين جيد الشعر ورديئه[3]، ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ بمعنى ما يليق به ولا يصلح له[4].

وفي قوله ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ لطيفة أخرى، وهي أنَّ ما كانوا يعدّونه فخرًا لهم من تعلُّم الشّعر وقوله، لا يليق برسول الله ﷺ ولا بجلالة مرتبته ومنصبه، ولا يفرح به وهو نقيصة له، بل كماله ﷺ في عدم تعلّم الشّعر أو قولِه، فيكون هذا الأمر من خَصوصيّاتِه ﷺ.

وذهب ابن الحاجب إلى أنَّ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ بمعنى: لا يستقيم عقلًا كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: 92]؛ لأنَّه لو كان ممَّن يقول الشعر لتطرَّقت التُّهمة عند كثير من الناس في أنَّ ما جاء به من قبل نفسه لتقويه عليه بقوة الشعر، كما جعله أُمِّيًّا لذلك، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ لأنَّه إذا انتفت الريبة لم يبق إلا المعاندة، فيحقَّ القول عليهم[5]، وفيه إشارةٌ إلى اتصال هذا الآية بما بعدها.

دلالة الضّمير المستتر في ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾:

يعود الضّمير الذي هو فاعل الفعل ﴿يَنۢبَغِي﴾ إلى ﴿ٱلشِّعْرَ﴾، والمعنى ما ينبغي الشّعر له؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 63.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 293، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 431.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 305.
(5) ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب: 1/ 265.

ليفيد نفي أيِّ ملابسة للشعر له ﷺ، أي في قوله أو في تعلُّمه، ويَحْتَمِل أن يعود الضّمير إلى المصدر المنفهم من ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾، والتّقدير: وما ينبغي تعلُّم الشّعر له، فإذا لم يتعلّمه لم يَقُلْه، فمآل الوجهين واحد، أي لا يتأهّل له ﷺ ولا يتيسَّر تعلّمُ الشّعر ولا قولُه، ولمّا كان الكلام في سياق إثبات أنَّ القرآن من عند الله تعالى أفاد أنَّ عَجْزَهُ ﷺ عن تعلُّم الشّعر وعن أن يكون شاعرًا؛ آيةٌ على أنَّ القرآن من عند الله، كما جعل أُمّيَّتَه وعدمَ تعلُّمِه الخطَّ آيةً من آيات رسالتِه.

رسول الله ﷺ لا يتأهّل له الشّعرُ ولا يتيسَّر له تعلّمًا ولا قولًا

وجه عود الضّمير في ﴿لَهُۥ﴾:

الظّاهر أنَّ الضّمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود إلى رسول الله ﷺ؛ ليكون مطابقًا للضّمير في قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾، وأجاز بعض المفسّرين أن يعود الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ إلى القرآن، والمعنى وما ينبغي الشعر للقرآن، لدلالة مجاورة لفظ القرآن للضّمير في ﴿لَهُۥ﴾[1].

تأكيد انتفاء الشعر عن الرسول ﷺ أو القرآن

سبب تخصيص الشّعر بنفي التّعليم:

قد يقال: لِمَ خُصَّ الشِّعْرُ بِنَفْيِ التَّعْليم، ونفى أن يكون الشّعر منبغيًا لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾، مَعَ أَنَّ الكُفّارَ كانوا يَنْسُبونَ إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَشْياءَ مِنْ جُمْلَتِها السِّحْرُ، ولَمْ يَقُلْ وما عَلَّمْناهُ السِّحْرَ، وكَذَلِكَ كانوا يَنْسُبونَهُ إِلَى الكِهانَةِ، ولَمْ يَقُلْ وما عَلَّمْناهُ الكِهانَةَ؟.

نفي الشّعر عن الرسول ﷺ يستلزمُ نفي الكهانة والسّحر عنه

وجوابه أن يقال: إنَّ الكفّار كانوا ينسبون رسول الله ﷺ إلى الكهانة عندما كان يُخبر عن الغيوب ويكون كما قال، وكانوا ينسبون رسول الله ﷺ إلى السّحر عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير، أو عندما كانوا يرون تأثير القرآن في السّامعين، وأمّا الشّعر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم، وإنّما كان يتحدّاهم

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 462، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 81، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 185.

بأن يأتوا بمثل القرآن، ولم يقل لهم إن كنتم في شكٍّ من رسالتي فأَنْطِقوا الشّجر أو فأَخْبِروا بالغيوب، فلمّا تحدّاهم بأن يأتوا بمثل كلام القرآن وكان الشعرُ كلامًا أيضًا، وكانوا ينسبون كلام القرآن إلى الشّعر، خُصَّ الشّعر بنفي التّعليم[1]، كما أنَّه لمّا نُفيَ أن يكون الشّعر متأتّيًا لرسول الله ﷺ أو أن يليق به؛ لِما جُبِلَ عليه من عدم تعلُّق قدرته ﷺ بتعلُّم الشّعر أو قوله قصدًا؛ كان نفيُ الكهانة والسّحر عنه ﷺ أولى وأظهر[2]، فإنَّ التّخيّلاتِ والكذبَ في الشّعر أَقلُّ بكثير ممّا يكون في الكهانة والسّحر.

مناسبة الفصل في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾:

تـأكـيـدُ أنَّ القـرآن مبايـنٌ للشِّعر ولكلام المخلوقين

جاءت جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّها كالنتيجة لما تقدَّمها، ففي الكلام إطنابٌ، وبيانه: أنَّه تعالى لمّا نفى أن يكون قد علَّمه الشّعر، أفاد أنَّه ليس بشاعر، وأنَّه لا يقول الشّعر؛ لأنَّه لا يتسهّل له ولا يصحُّ منه، فينتج من هذا أنَّ الذي أنزله الله عليه ويتلوه على النّاس ليس من جنس الشّعر، أي ما هو إلّا ذكرٌ وقرآن مبين، ويمكن أن تكون هذه الجملة في مَعْرِض التّعليل لما قبلها، بمعنى أنَّه لمّا نفى عن رسول الله ﷺ الشّعر، ونفى أن يكون الشّعر منبغيًا له؛ أثبت ما ينبغي له، فقال كالتعليل لما قبله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾، فكأنَّ المعنى: ما ينبغي له إلّا الذِّكْرُ والقرآن المبين[3]، ويحتمل كذلك أن يكون الفصل على طريق الاستئناف البيانيِّ، وبيانه: أنَّه لمّا نفى أن يكون ما يقوله الشّعر، كان كأنَّ سائلًا سأل: فما هذا الذي أتى به محمَّد ﷺ ؟ فأجيب: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[4]، وعلى الأوجه الثلاثة لبيان سبب الفصل في هذه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 304.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 185.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 167.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 65.

الجملة فإنَّ الجملة تذييليَّة تؤكِّد منطوقَ ما قبلها ومفهومَه[1]، من أنَّ الله تعالى ما علَّمه الشّعر وإنّما علَّمه القرآن، وأنَّ القرآن مباينٌ للشّعر ولكلام المخلوقين.

دلالة القصر بالنّفي و﴿إِلَّا﴾:

إظهارُ قبحِ صنيع الكفار بين ارتكاب الخطأ وإصرارِهم عليه

جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ على أسلوب القصر بـ﴿إِنْ﴾ و﴿إِلَّا﴾؛ لإيذان المخاطبين من الكافرين بأنَّهم مخطئون في نسبة القرآن إلى الشّعر، وأنَّهم مخطئون في إصرارِهم على إنكار أن يكون القرآن من عند الله تعالى وأنَّه ليس بشعرٍ، فجمعوا لقبحِهم بين ارتكاب الخطإ وإصرارِهم عليه[2]، كما أنَّه لمّا كان هذا الأسلوب يفيد تأكيد مضمونِه أفاد تأكيد أنَّ الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ هو ذكرٌ وقرآن مبين.

براعة قَصْرِ القَلْب:

علَّم الله رسولَه ﷺ القرآن المبين وليس الشّعر

لمّا كان القَصْرُ في قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ جاء عقب قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أفاد أنَّ القَصْرَ على القَلْبِ، أي ليس الذي علّمناه إيّاه إلّا ذكرًا وقرآنًا مبينًا، وما هو بِشِعْرٍ، والمراد من تعليم الله الوحيُ عن طريق جبريل عليه السلام، كما قال تعالى﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النّجم: 4 - 5][3].

دلالة الضّمير ﴿هُوَ﴾:

وَحْيُ الله قرآنٌ مبينٌ يُتلى في المساجد وغيرها وليس شعرًا

يعود الضّمير إلى المتلوّ، أي الذي يتلوه عليكم رسول الله ﷺ أو الموحى إليه، وهو عَوْدٌ إلى غير مذكور، والقرينة على عَوْدِه إلى المتلوّ أو الموحى إليه – وهو القرآن – هو السّياق، لأنَّه لمّا نفى أن يكون رسول الله ﷺ شاعرًا؛ لأنَّه تعالى لم يعلّمه الشّعر وما ينبغي له الشّعر،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 186.
(2) السكاكي، مفتاح العلوم، تح، زرزور، ص: 294 - 295.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 65.

أفاد أنَّ ما يتلوه عليهم ليس بشعر، وتقدير الكلام: إنِ المتلوُّ عليكم إلّا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ[1]، فالكلام في بيان أنَّ ما يتلوه رسول الله ﷺ ذكر وقرآن مبين، وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ الضّمير يعود إلى القرآن[2]، فيكون التّقدير: إن القرآن إلّا ذكر وقرآن مبين، فاضطرَّ هذا التّقدير إلى تأويل (قُرآن) بالمقروء[3]، لئلّا يكون من الإخبار عن الشّيء بنفسِه، والتّقدير: إنِ القرآنُ إلّا ذكرٌ ومقروء مبين، والمعنى: إنْ هو إلّا ذكرٌ وكتابٌ سماويٌّ يُتلى في المعابد ويقرأ في المحاريب وغيرها للعمل به[4]، ويَحتمِل أن يُقال: إنَّ الإخبار عن القرآن بأنَّه (قُرآن مُّبين) فيه زيادة في المعنى بسبب وصفه بـ﴿مُّبِينٌ﴾[5].

الغرضُ من قوله ﴿ذِكْرٌ﴾:

أوصاف القرآن لا توجد في الشّعر

يَحْتَمِلُ أن يكون المراد بلفظ ﴿ذِكْرٌ﴾ معناه، فيكون التّعبير بالمصدر على جهة المبالغة في تذكيره للنّاس بما نسوه أو جهلوه[6]، ويَحتمِل أن يكون بمعنى العِظَة أي: إنَّ ما أوحي إلى رسول الله ﷺ عِظةٌ لمن تدبَّره، فليس فيه إلّا النّفع والخير وليس الشّعر كذلك، والمعنى: ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن[7]، ويحتمل أن يكون ﴿ذِكْرٌ﴾ بمعنى شرفٌ ورفعةٌ في ذكرِكم، أي مَنْ عَمِل به ارتَفَع ذِكْرُه بين النّاس وعند الله تعالى، أو هو شرف لكم أيّها المخاطبون لأنَّه بلسانِكم[8].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 55.
(2) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 27، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178، وإسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 432، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 48.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 65.
(4) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 378، والزمخشري، الكشاف: 4/ 27، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 186.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 65.
(7) البغوي، معالم التنزيل: 4/ 22، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 311، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 186.
(8) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 378، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 167.

دلالة وصف القرآن بأنَّه ﴿مُّبِينٌ﴾:

القرآن ظاهرٌ إعجازُه ومبينٌ مرادَه ببلاغة معجزة

يحتمل أن يكون الوصف بصيغة اسم الفاعل ﴿مُّبِينٌ﴾ على معنى الصّفة المشبّهة على وجه المبالغة في وضوحِه، ويكون ﴿مُّبِينٌ﴾ بمعنى بائن وواضحٌ، أي إنَّ القرآن ظاهرٌ إعجازُه وظاهر على كونِه من عند اللّه، وأنَّه ليس بشعرٍ وليس من كلام البشر، وهو ظاهر في معانيه[1]، ويحتمل أن يكون الوصف على أصلِه من كونه اسم فاعل من (أَبانَ) بمعنى أنَّه مبين المرادَ بفصاحةٍ وبلاغةٍ[2]، ومبينٌ بنفسِه إعجازَه بكونِه من عند اللّه تعالى وأنَّه ليس بشعرٍ، ويكون حذف مفعول اسم الفاعل لإرادة العموم.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 363، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 186.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 66.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»